والتـلاعب بها، وتقديم العمليات الفدائية للاعلام العالمي بصورة مشوهة بشكل أسهم في تضخيم خطر عربي كاسح، وهمي، ضد الكيان الصهيوني. وصارت عبارة «القاء اسرائيل في البحر» وكأنها مرادف ـ في الشرق العربي ـ لعبارة «العداء للسامية» في اوروبا، في حين ثبت، من خلال عمليـات تحقيق دقيقـة ومعـروفـة، أن احـداً من المسؤولين العرب، بمن فيهم المسؤولون الفلسطينيون، لم يقل هذه الكلمة.

مع ذلك، فان هذه الممارسات (أي التهديدات اللفظية، والعمل الدبلوماسي، والسماح بالعمـل الفـدائي المحدود والمحكوم عبر الحدود) كانت هي «الحل العملي»، لدى الأنظمة العربية، للتناقض بين الالتزام القومي المعلن لها بالعمل من أجل القضية الفلسطينية، وبين الانشغال الفعلي بالحفاظ على ذاتها وتقوية قدراتها الخاصة، في تلك المرحلة من تطورها.

اما الزاوية الثانية، فهي ان هذه النظم، بعجزها الفعلي عن المواجهة العسكرية النظامية ضد الكيـان الصهيـوني، انما مكنته ليس فقط من ترسيخ ذاته، وانما ايضاً من التوسع واحتلال مزيد من الاراضي. والواقع انه كانت تسود، دائماً، دعوة الى عدم التعجل او التهور وعدم السماح للعدو بفرض حرب «في توقيت غير ملائم» او قبل «الاستعداد الكامل لها». ولكن لحظة الاستعداد الكامل تلك لم تتحقق ابداً. وعندما تحققت، بمعيار نسبي، في تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧٣، فقد كانت،بالكاد، بالقدر الكافي لزحزحته من الاراضي المحتلة بعد العام ١٩٦٧.

هذه الفجوة الهائلة بين الاهداف الكبرى المعلنة لتحرير فلسطين والوحدة العربية والكم الهائل من مشروعات التنسيق العسكري، والسياسي، سواء داخل الجامعة العربية أو على المستـوى الثنـائي أو من خلال مؤتمرات القمة العربية، وبين القدرات الحقيقية للانظمة العربية والتنفيذ المتواضع لمشروعات التنسيق او عدم التنفيذ على الاطلاق، مكنت الكيان الصهيوني من تحقيق مكاسب متصاعدة على طول الخط، سواء على صعيد تماسكه الداخلي أو على صعيد علاقاته الخارجية.

لقد كان مقتضى ذلك، من الناحية الفعلية، ان اقامت الانظمة العربية حول اسرائيل سياجاً أمنياً ـ بمعنى ما ـ اكثر من أي شيء آخر. ولقد نُسج هذا السياج ليس فقط باخفاق تلك الانظمة في المواجهة العسكرية ضد العدو الصهيوني وانما، ايضاً، بحيلولتها دون اطلاق المواجهة الشعبية غير النظامية ضده، سواء من جانب الفلسطينيين أو من جانب غيرهم. وبعبارة أخرى، فان تلك الانظمة لم تفلح في مواجهة التحدي الصهيوني ولم تشأ ان تترك الفرصة لغيرها ليواجهه.

ويعني هذا، نظريـاً، ان حدوث تغيّر جذري في الموقف من الكيان الصهيوني أضحى مرهوناً بأحد تطورين: اما تجاوز تلك المرحلة الانتقالية ودعم قوة الانظمة العربية السياسية والاقتصادية والعسكرية بما يمكنها من المواجهة النظامية وغير النظامية للعدو الصهيوني حسب الأحـوال، واما انهيار هذه الانظمة وتحللها، بشكل يطلق الطاقات الشعبية في أي مواجهـة ضد العـدو الصهيوني (وان كان يلغي الحرب النظامية). وتلك هي، على وجه التحديد، الحالة اللبنانية بعد الغزو الاسرائيلي في العام ١٩٨٢.

لقد كان تحلل «الدولة» في لبنان الشرط الرئيس الذي أطلق، لأول مرة في تاريخ المواجهة العربية ـ الاسرائيلية بعد العام ١٩٤٨، طاقات الحرب الشعبية ضد الكيان الصهيوني، وهو